مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا, من يهده الله فلا مضل له, ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له, وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾.

أما بعد

1- خرجت إلى العلن ما سميت (بوثيقة ترشيد العمل الجهادي في مصر والعالم)، وصاحبها الإعلام بضجة واهتمام، ولما تأملتها وجدتها -وللأسف كما توقعت- تخدم مصالح التحالف الصليبي اليهودي مع حكامنا الخارجين على الشريعة أيما خدمة، فهي محاولة لتخدير أعدائهم المجاهدين وتشكيكهم في منهجهم وإخراجهم من ميدان المواجهة بحجة العجز والضعف وبحجة عدم توفر مقومات الجهاد، وبحجة اليأس من إمكان الحركات الإسلامية أن تحدث أي تغيير في مصر.

ووجدت الرسالة قد ركزت علي شخصياً بالإشارة وبالتعيين، بالإضافة للشيخ أسامة بن لادن حفظه الله ونصره على أعدائه، ثم أضاف الكاتب فيما صرح به من أحاديث أسماء أخرى.

فوجدت نفسي في موقف في غاية الحرج؛ إن أنا سكت زعم المستفيدون من كتابة الوثيقة أنهم قد نجحوا في تشكيك المجاهدين في منهجهم، وكيف أسكت وأنا أرى الوثيقة تنصر الباطل على الحق بوضوح وجلاء، وإن أنا رددت فربما يكون ردي انتصاراً لنفسي، ويخرجني من موقفي الذي ارتضيته من زمن، وتتحول الوثيقة والرد عليها وما قد يتبعهما من ردود أفعال ترامياً بالنقد والاتهام على مرأى ومسمع من العالم مع إخوة تشرفت في يوم من الأيام بأن أبادلهم المودة الصادقة والإخوة الصافية على درب التضحية والجهاد في سبيل الله، والأمرُّ والأسوأ من تبادل النقد والاتهام أن أولئك الإخوة قد ارتضوا أن يقفوا في هذا النزاع في صف أعداء الإسلام الذين يشجعونهم ويهللون لهم، ويحرشون بينهم وبين إخوانهم، ويدفعونهم لمزيد من الرد والاتهام.

ولذلك فإن هذه الرسالة التي أقدمها للقارئ اليوم هي من أصعب إن لم تكن أصعب ما كتبت في حياتي. وقد كنت أحسب أن ردي على الإخوة في حماس هو أصعب ما كتبت في حياتي، حتى جاءت هذه الرسالة.

ثم بعد الاستخارة والاستشارة قررت أن أكتب هذه الرسالة متحرياً الإنصاف قدر الإمكان، وملتزماً بعدم التجريح قدر الطاقة. وحريصاً على توصيل الحق الذي أعتقده للقارئ في أفضل صورة.

ولذلك أود تنبيه القارئ ومن أرد عليهم أني لا أقصد تجريح شخص ولا النيل من قدره، وأن ردي ونقدي موجه للمعاني والأفكار وليس للأشخاص. فكاتب وثيقة الترشيد ومن يوافقه أو يزعم موافقته لهم في نفسي كل احترام وتقدير وإعزاز، وهم يعلمون هذا ويوقنون به، ثم إنهم الآن قيد الأسر، وقد ذقت مرارته مرتين، والحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه، فكيف أنال منهم وهم في هذا البلاء العسير؟

كما أود من القراء الكرام وممن ترد عليهم رسالتي أن ينبهوني لأي إسراف أو تجريح يتصورونه موجهاً لأي أخ من إخواني الأعزاء، أو أي خروج عن الحق والحيدة العلمية.

وأن يدرك من أرد عليهم أنهم هم الذين دفعوني وغيري للرد غيرة على الإسلام والجهاد من أعدائهما المتربصين بهما.

2- أنتقل الآن لوثيقة الترشيد المشار إليها، فأطرح ثلاثة أسئلة:

أ- لماذا خرجت الآن هذه الوثيقة؟

ب- ولصالح من نشرت ووزعت هذه الوثيقة؟

ج- وكيف كتبت هذه الوثيقة؟

***

أ- أما لماذا خرجت الآن هذه الوثيقة؟

(1) فقد خرجت هذه الوثيقة في محاولة يائسة أو -على أكثر التقديرات تفاؤلاً- شبه يائسة للتصدي للموجة العاتية من الصحوة الجهادية التي تهز كيان العالم الإسلامي هزاً بفضل الله، وتنذر أعداءه الصليبين واليهود بما يكرهون وما يحذرون.

(2) وواضح أن الهدف من الرسالة هو كف جهاد المسلمين ومقاومتهم للصليبيين واليهود وأجهزة الحكم العميلة في بلادنا، سواء باليد أو اللسان أو حتى الاحتجاج السلمي كالتظاهر والإضراب والاعتصام والمؤتمرات والاجتماعات. أي أن الرسالة تحرص -بلغة وزارة الداخلية- على <u>عدم تعكير صفو الأمن</u>.

(3) وتخرج هذه الوثيقة الآن في وقت قررت أمريكا فيه -نظراً للضربات التي تترنح تحت وطأتها- أن تنصرف عن خطها السابق بالسماح الجزئي ببعض من الحرية لتيار المعارضة عبر الانتخابات، فواجهته بالمنع والتقييد كما حدث في انتخابات مجلس الشورى في مصر والمغرب والأردن، وكما حدث مع حكومة حماس من حصار، ومن اعتبارهم إياها حكومة غير شرعية، وكما حدث في مؤتمر أنابولس، وما يتوقع منه من خيانات وعدوان. وفي وقت قررت فيه أمريكا

عياناً بياناً تمويل الخونة في مجالس الصحوة الصريحة في عمالتها. في هذا الوقت تظهر هذه المراجعات. لتشجع بها أمريكا تياراً أكثر تماوتاً وانهزاماً من تيار المعارضة عبر الانتخابات.

ب- أما لصالح من نشرت ووزعت هذه الوثيقة؟

(1) فالمستفيدة الأولى من هذه التراجعات هي أمريكا.

(أ) فالمجاهدون يدعون الأمة للقيام والنهوض والتصدي والجهاد والاستشهاد، والمتراجعون يدعونها للتخاذل والاستسلام، فيفتحون الباب واسعاً أمام استشراء المخطط الصهيوني الأمريكي.

(ب) والمجاهدون هم الذين أفشلوا المخطط الأمريكي في المنطقة، وهم أيضاً من تنتقدهم تلك التراجعات.

(ج) وأمريكا تعرف خطورة التيار الجهادي والقاعدة عليها وعلى مستقبلها ومكانتها في العالم، فالقاعدة لا تطالب فقط بطرد المحتلين الصليبيين واليهود من بلاد المسلمين، بل تطالب أيضاً بأن يباع البترول بسعره الحقيقي، بكل ما تمثل هذه الدعوة من آثار مدمرة على السيطرة الأمريكية على العالم، التي انبنت بدرجة كبيرة على سرقتها لثروات المسلمين.

(د) وكل جريمة القاعدة والمجاهدين؛ أنهم تصدوا للأمريكان واليهود وعملائهم، ولذلك أخرجت لهم آلة الدعاية الأمريكية أمثال هذه الوثائق، لتتناسى وتتغافل عن المجرمين الحقيقيين؛ الأمريكان وأعوانهم، الذين يسوقون الأمة من كارثة لأختها منذ نكبة عام 1948 حتى مؤتمر أنابولس، ولتصيح تلك الوثيقة وأخواتها في وجه المجاهدين: "أنتم سبب البلاء ودعاة الخراب وجالبو المصائب"!!

نعم. هم سبب خراب مصالح أهل الانتفاع والاستكانة والرضا بفتات الدنيا في ظل الطواغيت، يثمرون مصالحهم، ويربون أبناءهم، ويزيدون من أموالهم، وأعداء الأمة ينهشون فيها نهشاً.

نعم هم سبب خراب أولئك، ولكنهم المدافعون الحقيقيون عن عقيدة الأمة ومكانتها وأرضها وثرواتها.

(2) وأنا أدعو القارئ أن يبحث عن العامل الأمريكي في التراجعات:

(أ) فمراجعات الجماعة الإسلامية بدأت من 1997، وركدت، إلى أن جاءت أحداث الحادي عشر من سبتمبر، فبدأت موجة أخرى من المراجعات، استنكرها العديد من أعضاء الجماعة الإسلامية، الذين وافقوا على مبادرة وقف العنف، هذه الموجة وصلت بهم لاعتبار السادات شهيداً، والأهم أنها تركزت في معظمها على الهجوم على القاعدة، وبدأت المزايا الحقيقية الدنيوية تتحقق للمتراجعين.

(ب) أما كاتب هذه الوثيقة فقد أعلن عن تراجعه في كتابه (الجامع) منذ عام 1994، وانصرف لحياته الخاصة باسمه الحقيقي في اليمن في تعايش غريب مع أجهزة أمنها، ثم بعد الحادي عشر من سبتمبر 2001 اعتقلته السلطات اليمنية بأوامر أمريكية، ورحل لمصر، وتصور الأمريكان أنه قد يكون مفيداً في حملتهم الصليبية الجديدة. فبعد فترة من التكتم على اعتقاله بلغت حوالي ثلاث سنوات، لا أشك أنه قد مورس عليه فيها ألوان من الضغط والتقييد والقهر مقرونة بأساليب الترغيب والترهيب، بدأ إبرازه وإحاطته بكل هذه الهالة الإعلامية.

(3) هل هذه الوثيقة تحقق مصلحة لمصر ولغيرها من بلدان العالم الإسلامي؟

لقد اطلعت على بعض التفاعلات مع الوثيقة في الإعلام الرسمي وشبه الرسمي، وكان التركيز على المؤيدين للوثيقة، الذين اعتبروها في صالح مصر وأثنوا عليها ورحبوا بها، أما المعارضون للوثيقة معارضة حقيقية فيكاد لا يسمع لهم صوت في مصر ولا العالم العربي، لأنهم إما في السجن، أو مهددون بالترحيل لجوانتانامو إن قالوا لا، باستثناء من أسماهم الكاتب بالحمقى والعملاء وأبطال الميكروفونات

والإنترنت، فهؤلاء يعارضونها بقوة لأنهم يتمثلون بقول المتنبي:

رماني الدهر بالأرزاء حتى فؤادي في غشاء من نبال
فكنت إذا أصابتني سهام تكسرت النصال على النصال
وهان فما أبالي بالرزايا لأني ما انتفعت بأن أبالي

إلا أني أود أن أسأل الذين رحبوا بها واعتبروها في صالح مصر والعالم الإسلامي سؤالين أحدهما عام، والآخر أخص:

السؤال الأول: لو أخذنا مصر كنموذج لدول العالم العربي والإسلامي، فهل هناك أمل في التغيير السلمي في مصر؟ بل هل هناك أمل في مجرد التظاهر السلمي في مصر؟ والحكومة تعد قانوناً لتمريره في مجلس الشعب بمنع التظاهر في دور العبادة، وتقصد به منع التظاهر في الأزهر، وهو المكان الذي كان المصريون يحتجون فيه على الظلم لمئات السنين.

بل لأضع السؤال بصورة أكثر صراحة؛ هل الوضع في مصر يتحسن أم يتدهور؟ فلنتأمل السياسة الخارجية، والفساد والاقتصاد والزراعة، وموقع ليس الشريعة والدين بل الأخلاق المتعارف عليها في الإعلام والسلوك العام، وحقوق الإنسان والفقر والمرض والتعليم. إلى أين تسير مصر؟ إلى قيادة وريادة العالم العربي والإسلامي أم إلى التبعية والدونية، وهل يدافع حاكمها عن حقوقها؟ أم أن جل ما يقدمه هو القيام بدور السمسار لأمريكا، أو النمام الذي يرفع لها التقارير عن غيره من الحكام.

السؤال الثاني: بالنظر لذلك الواقع الذي أشرت إليه في السؤال الأول، فهل هذه الوثيقة تقدم برنامج عمل للتغيير في بلادنا العربية والإسلامية؟ أم أن خياراتها الست (1- الهجرة. 2- العزلة. 3- العفو. 4- الإعراض. 5- الصبر. 6- كتمان الإيمان) تقدم وصفة للهروب من الواقع؟

قد يكون الهروب من الواقع حلاً شرعياً في مواجهة الواقع الفاسد الذي لا يمكن تغييره. أخرج الإمام البخاري -رحمه الله- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال:

"قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنْ الْفِتَنِ"[1].

فهل هذا هو الوضع في نظر المرحبين بالوثيقة؟

وقد يكون الهروب من الواقع حلاً غير شرعي يندفع له الإنسان، أو يدفع إليه بدوافع شتى.

ولكنه في كل الأحوال يبقى حلاً لشخص أو لمجموعة أشخاص، ولكنه ليس حلاً لمجتمع ولا لشعب ولا لأمة. وإذا لم يكن حلاً لمجتمع ولا لشعب ولا لأمة فمن الأولى والأحرى والأكد أنه ليس حلاً لأمة معتدى عليها محتلة أرضها مسروقة ثرواتها معتدا على حرماتها وعقيدتها وقيمها.

ثم إن كاتب الوثيقة لا يعرض هذا لشخصه، ولا حتى للموقعين معه لدى الجهات المختصة، ولا لبقية المعتقلين، ولا لبقية الجماعات الإسلامية، بل هو يطرحه كحل للأمة كلها!!

ومن المثير للتعجب أنه حين كان يطرح حله للأمة كلها أو حتى للجماعات الإسلامية أو حتى للمعتقلين، كان يطرح الهجرة كحل، ودفعني هذا للتساؤل؛ إلى أين؟ إن أفضل مكان يمكن أن يعيش فيه المسلم اليوم عزيزاً هو هناك لدى المجاهدين، الذين وصفهم الكاتب بأنهم يعيشون في الكهوف وفي حماية القبائل والاستخبارات!!

ويقول المرحبون بالوثيقة يكفي أنها خطوة على الطريق، وأنا أتساءل؛ أي طريق؟ وإلى أين يؤدي؟

وهذا يدعوني لأن أحذر كاتب الوثيقة والموقعين معه، أن ينظروا؛ في أي طريق يدفعونهم؟ وإلى أية غاية يسوقونهم؟ لكي يعلنوا ندمهم ويعتبروا لسادات شهيداً وحسني مبارك وولده وولد ولده أسرة حاكمة لمصر؟

---

[1] صحيح البخاري- كتاب الإيمان- باب من الدين الفرار من الفتن - (ج 1 / ص 31).

ثم هذا يدفعني إلى أن أطرح نفس السؤال على الذين رحبوا بالوثيقة؛ إلى أين؟ سؤال بسيط ولكنه في غاية الإحراج.

ففئة من هؤلاء لا يؤمنون بالإسلام ولا يريدونه، وفئة أخرى تزعم أنها تريد الإسلام بشرط ألا يمس بعلاقاتها الرسمية وغير الرسمية بالمراكز ووسائل الإعلام الرسمية غير الرسمية، وفئة أخرى تريد الإسلام ولكن دون تكاليف تهدد الراتب والمنصب وما أشبه، وفئة مستعدة أن تقدم بعض التكاليف ولكن بعضاً من قادتها لا يمانعون من قيام دولة ثنائية علمانية في فلسطين في الطريق للوصول لدولتين على أرض فلسطين، فإلى أين؟

أليس من حق الأمة أن تسأل؟ وأليس واجباً عليهم أن يجيبوا؟

ثم أليس هؤلاء أولى بالمراجعة من غيرهم؟

ويقولون إنهم يرحبون بها لأنها تدعو لوقف الاقتتال الداخلي، وأسألهم؛ ومتى توقف الاقتتال الداخلي؟ الحكومة تمارس الاقتتال الداخلي ضد شعبها كل يوم، وفي كل مجال.

ثم الوثيقة لا تدعو لوقف الاقتتال الداخلي، الوثيقة ذهبت لأبعد من ذلك بمراحل شاسعة، الوثيقة تدعو لعدم الاعتراض على الظلم، وعدم الانشغال بالهم العام ولا بأمور المسلمين. الوثيقة تحل مشكلة أسير اكتفى بما قدم، أو ندم عليه، ويريد أن ينصرف للنظر في شأنه الخاص، وهذا هو موقف كاتبها من قرابة أربعة عشر عاماً، ولكنها لا تحل مشكلة مجتمع ولا شعب ولا أمة.

وقد أتفهم أن يتخذ أسير مثل هذا القرار في مثل هذه الأحوال، وقد كنت أسيراً مرتين، والحمد لله على كل حال، وأعرف الأسر. ولكن الأمة المسلمة في مصر وغيرها في غنى تام عن هذا القرار في هذه الظروف العاصفة من تاريخها.

ثم لنفترض أن الاقتتال الداخلي قد توقف، ولم يعد هناك ما يعكر صفو الأمن، فهل وصل المرحبون لما يريدون؟ هل انصلحت الأحوال أم تدهورت؟

ثم لماذا تطالبون المعتقلين المقهورين في السجون المصرية وجماعة قاعدة الجهاد بالتوقيع على الوثيقة لكي يقف الاقتتال الداخلي، ولا تطالبون حركة حماس مثلاً؟ ألم تقم حركة حماس ولازالت تقوم بالاقتتال الداخلي، تناقض واضح، أليس كذلك؟

هل يعقل أن يقوم شخص على مذهب كاتب الوثيقة، فيصنف وثيقة للفلسطينيين يدعوهم فيها لترك الجهاد لأنه أدى لسفك دماء المسلمين، وعليهم أن يختاروا خياراً من الخيارات الست؟

فإن قيل هناك فارق كبير بين مصر وفلسطين ففي فلسطين يوجد احتلال يهودي، فالجواب أن الاحتلال اليهودي لا يبرر سفك الدم المسلم. ثم في مصر أيضاً احتلال أمريكي، وقتلى المسلمين الذين قتلتهم الطائرات الأمريكية التي أقلعت من مصر والسفن الأمريكية التي مرت في قناة السويس وتمونت من موانئ مصر، وشحنت بالعتاد من مخازن الأمريكان في مصر، يفوق عدد الفلسطينيين الذين يقتلهم اليهود في غزة. لقد قتل في العراق من الحصار فقط -وليس من الحرب- مليون طفل.

وإن قيل؛ ولكن مصلحة طرد العدو الصهيوني من فلسطين أعظم من مفسدة سقوط قتلى بين الفلسطينيين، فالجواب وكذلك مصلحة قيام الدولة الإسلامية المجاهدة في مصر، التي تسعى لتحرير فلسطين وكل أرض مسلمة، وتقضى على الفساد وتبسط الشورى وتقيم العدل، وتعيد لمصر دورها التاريخي في الدفاع عن الإسلام والمسلمين، لا شك أنها أعظم من مفسدة سفك دماء بعض الأبرياء.

فإن قيل ولكن الجهاد في مصر لم يؤد لقيام الدولة المسلمة ولا لطرد الأمريكان من مصر، فالجواب؛ وكذلك

الجهاد في فلسطين منذ ثمانين سنة لم يؤد لطرد المحتل من فلسطين، التي احتلها البريطانيون ثم سلموها لليهود.

فإن قيل؛ ولكن الجهاد في مصر أدى لتوقف السياحة وتضرر الاقتصاد، فالجواب والجهاد في فلسطين أدى لحصار غزة وقطع المؤن والوقود والرواتب عنها.

فإن قيل؛ ولكن الجهاد في مصر أدى لقتل الأطفال، فالجواب وكذلك الجهاد في فلسطين أدى لقتل أطفال يهود، والأطفال مسلمون أو غير مسلمين يحرم تقصدهم بالقتل في الشريعة، بل وصواريخ حزب الله التي أطلقت على شمال فلسطين قتلت عرباً. وصواريخ القسام عشوائية لا يعلم من تقتل مسناً أو طفلاً أو غيرهما.

فإن قيل؛ هل أنت تبرر قتل الأبرياء؟ أم تزعم أن الجهاد لم تشبه أخطاء؟ فالجواب؛ لا هذا ولا ذاك، ولكن يحاسب المخطئ على خطئه، ويعوض المتضرر حسب الشريعة، ويستمر الجهاد، والجهاد كأي عمل يمارسه البشر حدثت وتحدث وستحدث فيه أخطاء، ولكل خطأ تبعته الشرعية، وهذه الشريعة لم تتنزل للملائكة، ولكنها تنزلت للبشر الذين يصيبون ويخطئون.

وفي عصر النبوة حدثت أخطاء من القادة المسلمين ولم يتوقف الجهاد. أخطأ سيدنا خالد بن الوليد رضي الله عنه، فقتل أسرى بني جذيمة المسلمين، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد"[1]، وأدى الدية لقوم الأسرى، ولم يتوقف الجهاد، وأخطأ سيدنا أسامة بن زيد رضي الله عنهما، فقتل المحارب بعد أن شهد بشهادة الإسلام، وغضب عليه النبي صلى الله عليه وسلم غضباً شديداً، أخرج البخاري رحمه الله عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما- قال:

[1] صحيح البخاري- كتاب المغازي– باب بعث النبي –صلى الله عليه وسلم- خالد بن الوليد إلى بني جذيمة.

"بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحرقة فصبحنا القوم فهزمناهم ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم فلما غشيناه قال: لا إله إلا الله. فكف الأنصاري عنه فطعنته برمحي حتى قتلته فلما قدمنا بلغ النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: "يا أسامة أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله"؟ قلت: كان متعوذا. فما زال يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم"[1]. ولم يتوقف الجهاد.

ثم هذه الجيوش بما فيها الجيش المصري مملوءة بالجرائم. أليس لها قانون عسكري وقضاء عسكري؟ يحاكم الجنود بدءاً من التقصير في نوبة الحراسة إلى الخيانة العظمى. وهذه السجون العسكرية ممتلئة، فهل يقبل الموافقون على الوثيقة، أن يخرج مفكر فيصنف وثيقة يطالب فيها بإلغاء الجيش المصري لما ارتكب فيه من جرائم، وعلى المصريين أن يختاروا أحد الخيارات الست؟

والأمة المسلمة المعتدى عليها اليوم لا جيش لها يدافع عنها، والمجاهدون هم جيشها، لا جيش لها سواهم، فهم الذين يدافعون اليوم عنها، أم يرى الموافقون على الوثيقة أن حسني مبارك وعبد الله بن العزيز هما المدافعان عن حقوق الأمة المسلمة؟

ثم إذا كان هناك من يجب أن توقف الاقتتال الداخلي فهي الحكومة، وهي الحملة على الإسلام باسم الإرهاب التي تتسابق فيها حكومة مصر مع غيرها من حكومات المنطقة تنافساً على رضا البيت الأبيض لكي يضمن الرئيس بلا نائب أن ولده المحروس سيرث عرش مصر المحروسة.

إن الذي يحرم الاقتتال الداخلي في هذه الحالة كمن يحرم على العرب امتلاك سلاح ذري في الوقت الذي يمد فيه إسرائيل بمئات القنابل الذرية وغيرها من وسائل التدمير

[1] صحيح البخاري- كتاب المغازي- باب بعث النبي -صلى الله عليه وسلم- أسامة بن زيد إلى الحرقات من جهينة.

الشامل. إنه نفس المنطق. منطق منع المظلوم من رد الظلم لأنه الطرف الأضعف.

ثم لنتكلم بصراحة، هذه الحملة والضجة الإعلامية موجهة أساساً وبالتركيز ضد جماعة قاعدة الجهاد؛ لأنها في نظر أمريكا الخصم الأخطر على مصالحها وأمنها القومي. ولأن ما تدعو إليه وتحرض الأمة عليه كفيل بأن يزلزل كيان أمريكا. وإلا فإن الاقتتال الداخلي موجود في الصحراء المغربية وفي السودان وفي لبنان وفي اليمن، ومن عقود، ولم يثر كل هذه الضجة.

ونحن في جماعة قاعدة الجهاد لا نهدف للاقتتال الداخلي. نحن نهدف لطرد الغزاة من بلاد المسلمين وإقامة الدولة المسلمة، وخطتنا العملية -حسب ما أدانا إليه اجتهادنا-قد أعلنا عنها مراراً وتكراراً:

(أ) ضرب الأهداف الصليبية والصهيونية.

(ب) السعي الجاد لتغيير هذه الأنظمة الفاسدة وإقامة النظام الإسلامي.

وأكرر السعي الجاد، وليس حضور مؤتمر ولا مظاهرة لمدة ساعة، ولا حضور درس لمدة ساعتين. قد تكون هذه من الوسائل، ولكن السعي الجاد للتغيير أكبر منها بكثير. السعي الجاد للتغيير أكبر من تصور البعض أنه ممكن أن ينصر الأمة المسلمة وهو جالس في مكتبه وسط أوراقه وكتبه، ينقد هذا، ويصوب ذاك، دون أن يخوض غمار المعارك، ويقدم التضحيات من نفسه وماله وولده وفراقه للوطن والوظائف والرواتب وسفاسف الدنيا، السعي الجاد للتغيير يتطلب:

[1] الإخلاص في سبيل تحقيق الهدف، ابتغاء مرضات الله.

[2] ويتطلب المواصلة والمثابرة والمدوامة والإصرار على السعي في الوصول للهدف، وحشد الطاقات وتنظيمها ودراسة الخطوات وانتهاز الفرص....

يقول شاعر الإسلام العظيم العلامة محمد إقبال رحمه الله:

اٹھ کہ خورشید کا سامانِ سفر تازہ کریں
نفسِ سوختۂ شام و سحر تازہ کریں

وترجمته:

إلى الشمس جدد متاع السفر وحر الحشا بالدجى والسحر[1]

[3] ويتطلب الاستعداد للتضحية بأغلى ما يملك الإنسان في سبيل ذلك الهدف، من قتل أو مطاردة أو تشريد أو فقر أو تمضية زهرة العمر في السجن.

حينئذ نكون قد استنفذنا وسعنا ونرجو النصر من الله.

وهذا الأمر لم نوجهه لفئة المجاهدين ولا الملتزمين، بل دعونا كل المسلمين له. لأنه فريضة عليهم جميعاً مثل الصلاة والصيام.

أرجو من المرحبين بالوثيقة أن يجيبوا على أسئلتي، حتى يكونوا أقدر على وضع الوثيقة في موضعها الصحيح.

ثم إني أحذر المهللين لهذه الوثيقة وخاصة من التيارات الإسلامية، أنهم قد قدموا للحكومة السكين التي يمكن أن تذبحهم بها، فترحيبهم بسياسة الحكومة في ابتزاز المعتقلين من تيارات الجهاد لكي يتنازلوا أو يتظاهروا بالتنازل عن مبادئهم عبر اصطياد بعض القيادات بالترغيب والترهيب، يمكن أن يرتد عليهم، فقد أجازوا بتهليلهم وتصفيقهم للحكومة أن تمارس نفس السياسة التي هللوا لها معهم!

ثم إن هذا التهليل والتصفيق لسياسة أمن الدولة قصير النظر جداً لأمرين:

أولهما: ما أشرت له من أن هذه السياسة يمكن أن ترتد إلى المهللين.

وثانيهما: أن المجاهدين -بفضل الله- لا تؤثر فيهم هذه التمثيليات، وكم تراجع من الزعامات والقيادات وأصدروا

[1] من المفارقات أن جدي لأمي العلامة عبد الوهاب عزام -رحمه الله- هو أول من ترجم شعر إقبال للعربية شعراً، ولكن لعدم استقراري لم تتوفر لي كتبه، فليتقبل القارئ هذه الترجمة المتواضعة.

الفتاوى والبيانات لخنق الروح الجهادية في الأمة المسلمة، وذهب المتراجعون إلى حيث ذهبوا، وبقي الجهاد وانتصر الإسلام. ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾.

ج- أما كيف كتبت هذه الوثيقة؟

(1) فهذه التراجعات لم تكتب في ظروف القهر والسجن والخوف فقط، ولكنها كتبت بإشراف وتوجيه وتدبير وتمويل وإمكانات الحملة الصليبية اليهودية، ولم يبذلوا فيها هذه الأموال والجهود إلا لأنها تصب في مصلحتهم، ولو كانوا لا يحققون بها مصالحهم لما سمحوا لصاحبها أن ينطق أصلاً.

(2) ولذلك فإني أعلن لجميع المسلمين أنه لو –لا قدر الله- أسرت أو غيري من الإخوة، نسأل الله لنا ولجميع المسلمين الأمن والعافية، ثم خالفنا ما كتبناه وقلناه قبل الأسر، فلا تقبلوا منا إلا ما كتبناه وقلناه قبل الأسر لا بعده.

(3) وتزعم الحكومة المصرية أن هذه التراجعات كتبت بإرادة واختيار أصحابها، فأسألهم:

(أ) لو كانت هذه التراجعات حرة وتلقائية فلماذا لم نسمع عنها إلا بعد أن وقع أصحابها في أسر عملاء الصليبيين، بل إن منهم من كان رافضاً لها في الأسر ثم استسلم أخيراً.

(ب) وإذا كانت هذه التراجعات حواراً حراً فلماذا تديره أجهزة الأمن؟ وهي المجرمة الممارسة للقهر والتعذيب والكذب والغش والتزوير. وهل يصلح من هذه مواصفاته ليدير حواراً حراً.

(ج) وإذا كانت هذه التراجعات حرة وتلقائية، فأين أصوات المعارضين لها؟ وهم الأكثرية المكممة الأفواه، والمقهورة، والمعاقبة على ثباتها.

(د) وإذا كانت هذه التراجعات حرة وتلقائية، فلماذا لم نسمع من أصحابها نقداً للنظام الحاكم في مصر؟ وهو أفسد نظام رأته مصر في تاريخها المعاصر، وهو الذي ارتكب من التعذيب والقتل والإجرام -باعتراف الجميع الموافق له

والمخالف- ما لم يرتكبه غيره، يكفي أنه النظام الذي أصدر قرابة مائة وثلاثين حكماً بالإعدام، نفذ منها قرابة مائة حكم في عهده، وهو ما لم تعرفه مصر في تاريخها، ناهيك عن القتل غير المسجل.

وهو النظام الذي باع مصر للحملة الصليبية الصهيونية الأمريكية الإسرائيلية، وحول مصرمن قائدة للعالم العربي والإسلامي إلى مؤسسة خدمات تابعة للقوات الأمريكية.

(هـ) ولماذا لا نسمع من أصحابها إلا نقداً للمجاهدين فقط وللقاعدة على الخصوص، مثلما حدث مع متراجعي الجماعة الإسلامية بعد عام ألفين وواحد ميلادي.

(و) ثم لماذا لا يكون مسار هذه التراجعات ووقائعها شفافاً وواضحاً؟ ولماذا تكون أسراراً وطلاسم؟ نفاجأ بعد فترات طويلة من الصمت بمن يطل علينا فجأة، وسط تهليل الإعلام وتصفيقه الحاد المفاجئ، ليعلن التراجع والتنازل والانهزام.

(ز) لماذا لا يطلعون الناس عمن أشرف على تلك التراجعات من أجهزة الأمن وما أسماؤهم وما دورهم؟ ومن شاركهم من المحامين والعلماء الرسميين وغير الرسميين؟ والكتاب والصحافيين والسياسيين؟ وما هي العروض التي قدمت في مقابل التراجعات؟ وما هي الميزات التي حصل عليها المتراجعون؟ وفي المقابل ما هو التنكيل والعقاب والتضييق الذي مورس على الرافضين للتراجع والتنازل؟

(ح) وما هي طبيعة المفاوضات التي دارت بين المتراجعين والحكومة؟ وما هو سياقها وفي أي ظروف تمت؟ وما هي المواضيع التي طرحت فيها؟ وما هي وجهة نظر كل طرف؟

لماذا لا يكون الأمر شفافاً وواضحاً، حتى يمكن إدراك حقيقة أبعاده وإخضاعه للدراسة والفحص المحايدين.

3- ثم بعد أن أشرت إلى من كتب هذه الوثيقة ومن وافقه أو زعم أنه وافقه عليها، وبعد أن أشرت للأسئلة حول الوثيقة، وكيف كتبت، أنتقل لما زعموه من أثر الوثيقة على

المجاهدين، ومع احترامي وتقديري لكل إخواني، فأود أن أوضح بعض النقاط:

أ- المجاهدون -بفضل الله- لا يعرفون الحق بالرجال، ولكنهم يعرفون الحق فيعرفون رجاله.

ب- وكاتب هذه الوثيقة قد نفض يده من العمل الجهادي وانتقد أصحابه منذ أربعة عشر عاماً، فكيف كان حال الجهاد فيها؟ هل تراجع أم تصاعد حتى صار أقوى خطر يهدد أمريكا زعيمة الغرب الصليبي؟

ج- ثم أيضاً مع احترامي لجميع إخواني، أسأل سؤالاً، وأرجو ألا يعتبره أحد إنقاصاً من قدره، لقد كال كاتب الوثيقة أوصافاً ونعوتاً للشيخ أسامة بن لادن حفظه الله، فأيهما -في تحليل الواقع ورصده- أكثر تأثيراً في الشباب المسلم وفي الجماهير المسلمة وفي السياسة الدولية؟

د- والذين يناصرون ويؤيدون الشيخ أسامة أو الملا محمد عمر حفظهما الله، لا يؤيدونهما عصبية وهوى، ولكنهم يؤيدونهما لما رأوه من نصرتهما للحق وبذلهما وتضحياتهما في سبيله، نسأل الله لهما ولجميع المسلمين القبول.

4- ثم أنتقل لطرف آخر مسحوق مقموع مقهور معزول. أنتقل للأغلبية المسحوقة داخل السجون. التي لا يسمع أحد صوتها، ولا يسمح لها بأن تكشف الجرائم الرهيبة التي تتعرض لها، ولا المؤامرات الخسيسة التي تمارس عليها، ليلحقوا بالمتراجعين. هذه الفئة الثابتة الصامدة القابضة على الجمر، فمثلاً نقل موقع (العربية نت) عن مراسله في القاهرة ممدوح الشيخ مايلي:

" وأكد القيادي الاسلامي محفوظ عزام (نائب رئيس حزب العمل المجمد) وهو أيضا محامي الظواهري في مصر، أن 30 من قيادات تنظيم الجهاد بينهم المهندس محمد ربيع الظواهري، شقيق أيمن، رفضوا هذه المراجعات.وقال لـ"العربية.نت" إنهم محبوسون في سجن شديد الحراسة، وقد عوقبوا بسبب هذا الرفض، بمنع الزيارات عنهم تماما،

حتى أن المحامين لا يستطيعون زيارتهم، وذلك منذ بدأ نشر المراجعات.

ولم يستبعد عزام أن يكون هناك رد فقهي على المراجعات يتم الإعداد له، متمنيا أن تكون فرصته في الاهتمام الإعلامي مثل فرصة المراجعات. وقال "إن ما يدعو للريبة ليس فقط الملابسات وبعض الأسماء التي يتم "تسويقها"، بل الطبيعة العالمية التي يحاول البعض إضفاءها عليها، متسائلا عن مغزى اعتقال الشيخ عبدالله السماوي - أحد قيادات الجماعة الاسلامية- بعد نشر المراجعات بيومين وعقب إدلائه بحديثين صحفيين"[1].

فإلى هذه الفئة الصامدة الصابرة أهدي هذا العمل المتواضع راجياً أن يقبلوه مشكورين.

5- وختاماً أكرر التأكيد على تقديري وجميع إخواني لإخواننا الأسرى، وللظروف التي يمرون بها. وأني قد اضطررت اضطراراً للرد على بعضهم، فأرجو أن يسامحني إخواني الأسرى الذين أرد عليهم، فما كنت في يوم من الأيام أود أن أختلف مع إخواني الأعزاء على العلن، ولكنه الحق الذي هو أحب إلينا من الخلق، والذي تركنا من أجله أعز الأهل وأحب الأوطان طمعاً في رضا الله سبحانه، نسأله القبول.

أسأل الله أن ينصر دينه وكتابه وأولياءه الصالحين، وأن يفرج عن أسرى المسلمين في كل مكان فرجاً عاجلاً قريباً، وأن يجمع بيننا وبين جميع المسلمين على ما يحب ويرضى من عز الدنيا وفوز الآخرة، وأن يجمع شملنا ويؤلف بين قلوبنا ويصلح ما بيننا ويغفر لنا ما أسرفنا على أنفسنا.

6- وبعد فقد كتبت هذه الوريقات ابتغاء رضوان الله، فما كان فيها من خير وصواب فهو من توفيق الله وحده، وما كان فيها من غير ذلك فهو من نفسي والشيطان. وقد كتبتها على عجل وكنت أتمنى أن تكون أفضل من ذلك تأصيلاً ومادة

[1] العربية نت- الإثنين 16 ذو القعدة 1428هـ- 26 نوفمبر 2007م. خال أيمن الظواهري يشكك بمراجعات الشيخ فضل لكونه معتقلاً.

وإخراجاً، ولكن هذا ما سمحت به الظروف، فليكمل إخواني نقصها ويصححوا خطأها، ويسامحوا كاتبها.

7- وقد أجزت كل أحد أن ينشرها أو يختصرها أو يقتبس منها ما لم يخل بمقصدها. والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محم وآله وصحبه وسلم.

كتبها احتساباً لأجر الله ورضوانه

أيمن الظواهري

محرم 1429هـ- يناير 2008م